

الأمومة والبنوة
وتبادل القيم

الأمومة والبنوة وتبادل القيم

مكانة الأمومة النفسية والاجتماعية :

الأمومة في رأي المجتمع العربي هي أعظم غرائز الخير في النفس البشرية وأوسع مهابط الرحمة الإلهية وفيوضها على الوجود الإنساني والحيواني.

والمجتمع العربي منذ جاهليته الأولي قائم على تواصل الأرحام وتشابك الأنساب والاعتزاز بحفظها وتسلسلها على مدى العصور، فالرحم لديه معان ممتازة قدسية أدركها شعراؤه وحكماؤه وزعماؤه وأشادوا بها وتحاكموا إليها في شئونهم وحكموها في مصائرهم ومواريثهم وتقاليدهم.

ولم تعن أمة من أمم العالم قديما وحديثا بحفظ الأنساب التي ينتمي إليها الأفراد ويشتبكون بها في أسر وعشائر وقبائل وشعوب كما عنيت الأمة العربية حتى صار ذلك لديها علما قائمابذاته، ينفرد به طائفة خاصة فيها هم (النسابون)، وقد أوصى الإسلام بتعلم هذا العلم. ففي الحديث النبوي «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم» ولم تحفظ أمة أصول أبوتها الأولى وتفرعاتها وتشابكها من وقائعها وتاريخها وصور شخصياتها كما حفظت الأمة العربية. وذلك لما وقر في صدرها من ضرورة صلة ذوي الأرحام والقرابة الذين ربطت بينهم الأمومة بحبها وبرها ولما أدركته بفطرتها السليمة من قيمة الاحتفاظ بتسلسل الأنساب وآثارها وإيحاءاتها في نفوس الناشئين.

ولما جاء الإسلام خلع على الأمومة والرحم معاني من القداسة والتمجيد جعلتهما في المكانة التالية لمقام الربوبية والنصوص الإسلامية في ذلك أكثر من التذكرة في عجالة. وحسبنا أن نذكر منها القرآن الكريم ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾. والحديث الشريف «إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله:

من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته» (وشجنة من الرحمن) أى فرع مشتق من اسمه.

والعلاقة بين (رحم) و (رحمة) لها دلالتها اللفظية الواضحة ودلالتها المعنوية في انتقال معنى الحب والشفقة والتعاون من محيط الأسرة التي تربط بين أفرادها روابط الرحمة إلي المحيط الإنساني العام الذي لا يقوم هو أيضاً إلا على تبادل الرحمة والحب وسائر إشعاعات رحمة الأمومة. وهذا كله يدل على أن الأمومة هي أصل المجتمع الإنساني في رأي العرب.

ولا شك أن هذا يدل على مدى عمق إدراك العرب لما فى غريزة الأمومة من منابع الخير وأنها أصل الإيمان بفكرته عندهم.

ونظرة واحدة إلى الضعف والرقة في الأمومة بالنسبة إلى قوة الأبوة على الأقل وهي أي (الأمومة) على ضعفها ورقتها يفيض منها الحب والرحمة والخير والفداء والتضحية بالذات فى سبيل ولدها وتأمين حياته حتى بعد أن يشتد ويقوى ويستغني عنها بعقد أواصر الحب بينه وبين بيئته. أقول: نظرة واحدة إلى هذا كافية أن تقتلع آراء (نيتشه) من أساسها وتذروها فى وجه صاحبها.

فهنا في قلب الأم النبع الحقيقي والفيض الغزير للخير، والخير هو أقوى عوامل البناء والإنشاء والتعمير والصيانة للحياة ولكنه قوة هادئة شأنها شأن جميع القوى البانية في الكون فإنها تعمل عملها في هدوء وبطء وتدرج وسط القوى المادية العمياء الجبارة فتفلق البذور للإنبات وتنبهها للسير مع الحياة في رفق وتنميها في تدرج وتنفتح براعمها في حذر في ظلمات الأرحام: أرحام الحيوان وأرحام النبات .. بخلاف قوى الهدم والموت فإنها تأتي عاتية مدمرة متعجلة مباغتة.

تبادل العواطف:

وفي نظرتنا إلى الأمومة نرى عواطف متبادلة بين ثلاث حركات نفسة:

- إحداها حركة هابطة من أعلى بفيض من عواطف الأمومة ورحمة الله عن طريقها إلى البنوة ثم إلى العالم كما أوضحنا.
- وثانيتها: حركة صاعدة بعواطف البنوة واستجاباتها وانعكاساتها إلى الأمومة.
- وثالثتها: حركة ناشئة من تلاقي الحركتين السابقتين وتفاعلهما وامتزاجهما وهي حركة الشعور (بالأخوة) وارتباطاتها في كنف الأمومة وبإرشادها.

ونلمح من عواطف التبادل هذه مزيجا من مشاعر الأمومة والبنوة والأخوة والأبوة بمعاني (البيت) وأذواقه والسلامة والراحة التي تغمر النفس فيه وتحقق لذة (المأوى) و (السكن) الذي تسكن نفوس الجميع لديه بعد حركة الكدح والاضطراب في مسالك العيش ويتعاونون في ظلاله على مواجهة الحياة ثم يعكسون مشاعرهم وتعاونهم فيه على البيئة والمحيط العام به وبذلك يتسع مدى تأثير (البيت) حتى يشمل الوطن كله.

الاستجابات:

فما هي استجابات البنوة وتفاعلاتها النفسية التي نجدها في منطقة التبادل منعكسة عن الأمومة أو منبثقة من ذات البنوة بخلال البر والخير؟

الاستجابة الأولى: الشعور بالارتباط:

- الشعور بالاحتياج للغير والارتباط به وضرورة مواجهة الحياة بالتعاون معه وعدم إمكان الانفراد والعزلة من

دونه لأن تفتح الإحساس والشعور والإدراك لدى البنوة مقترنا بالشعور بضعف الطفولة وعجزها ومسيس حاجتها إلى الأمومة وحواشيها من الأبوة والأخوة ومنشأ ذلك الشعور بالحاجة إلى حماية ورعاية من قوة أعلى.

ولا شك أن هذا هو المنشأ الأساسي للحياة المدنية ونموها وازدهارها ومبعث تلك الحقيقة الاجتماعية المقررة التي بني عليها علم الاجتماع وهي أن الإنسان مدني بالطبع.

الاستجابة الثانية: الاطمئنان في كنف الأمومة:

- الشعور بالإمكان والاطمئنان في كنف الأمومة والشعور بمفاتح الرحمة والرقة المنبعثتين من النفس لأول عهدها بالحياة استجابة وتلبية ومحاكاة لما تفيض به نفس الأمومة، وفي هذا الشعور ما يدخل البنوة إلى الحياة على اعتقاد وتفاؤل بأن الخير أصل الوجود ووجهته وما يجعل للحياة وجهها الجميل في نظر الطفولة ويطرد من قبل الناشيء الخوف والتوجس والانقباض عن الحياة مما قد توحيه قسوة البيئة المحيطة بالبيت.

الاستجابة الثالثة: الحرية والعزة:

- فيض الشعور بالحرية والعزة والتفتح للحياة في كنف الأمومة وباعتزازها وتشجيعها وإنهاضها واتساع عطفها وإعجابها الطبيعي بأبنائها مما يجعل الحرية والعزة شيئا فطريا تؤمن بنفس الطفل بأنه روح الحياة وطابعها الأول وقد لمح هذا المعنى الكبير الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وسجله في مقالته المشهورة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

وطبيعي أن يكون لمدى الحرية والعزة في البيت وفي

كنف الأمومة أثره البالغ في تكييف حياة النشء وطبعها بطابع الكرامة والتربية الاستقلالية والتفاؤل أو بطابع الهوان والعبودية والتشاؤم فيما بعد حينما يعيش في مجتمع عام.

الاستجابة الرابعة: تعلم مبدأ المسئولية:

- الطاعة والانصياع لأوضاع الجماعة ونظمها وقوانينها وهذه الطاعة أثر من آثار تطويع الأم وترويضها لنفس الطفل بالترغيب والترهيب على الحد من حرياته الطبيعية بحدود مصالح الآخرين وحرياتهم واحترام حقوقهم وأداء الواجبات نحوهم وهذا منبثق عظيم من انبثاقات الحياة الاجتماعية والتوجيه الاجتماعي والتربية المدنية والسياسية بل هو الأصل والأساس لكل أولئك. فلولا الطاعة التي تغرسها الأمومة والبيت في نفس الطفل وتضبط بها من اندفاعاته وتحد من حرياته الجسدية والنفسية ما قامت قائمة للحياة الاجتماعية ونظمها وقوانينها.

الاستجابة الخامسة: الولاء والانتماء:

- الوفاء (للبيت) الذي درجت فيه ا لبنوة ثم الوفاء للحي المحيط بذلك البيت أو المرتبط به بأي نوع من العلاقات ثم الوفاء للوطن الأكبر الذي يضم ذلك البيت.

والوفاء من صميم صفات الخير الذي تتجاوب به طبيعة البنوة مع طبيعة الأمومة ثم مع البيئة والوطن ومصدره ذلك الحنين الغريزي الذي تثيره فى النفس ذكريات طفولتها وفتح حواسها وإدراكاتها على المهود والمدارج وملاعب الصبا والشباب فى كنف الحب الذي يرفرف على البيت. فهو من أولى الاستجابات الطبيعية في نفوس الأبناء للأمومة ورحمها وبرها. وربما يكون له في الاجتماع البشري أثر يلي أثر الأمومة.

وقد أدركت البيئة العربية بصدق فطرتها قيمته العليا ووسعت من دائرة مفعوله في أخلاقها حتى صار إحدى الشيم العربية الكبرى التي تشتهر بها الأمة العربية وتتعامل بها في محيطها الخاص وفي المحيط الدولي العام.

الاستجابة السادسة: حب الوطن:

- الحماية للبيت والدفاع عنه وبذل الدم والمال وجلب الخيرات والمقتنيات إليه شعوراً وإدراكا بأنه الحصن الأول للذات والمهد الأول للأمن والطمأنينة وأنه موضع الأسرار والحرمات الشخصية فلا يدنو منه واغل ولا يدنسه دخيل ولا يسلب منه متلصص، ثم تنتقل هذه المعاني كلها في نفوس الأبناء من حرم البيت ذلك الوطن الصغير إلى الوطن الكبير للأمومة التي تنتسب إليها البنوة الناشئة فتصنع من أجلها البطولات الخالدة في الدفاع عن حرمات الأوطان وجلب المنافع والأمجاد والمفاخر إليها كما كانت تفعل مع البيت في صباها.

الاستجابة السابعة: الإيمان بالله:

- وهناك نتيجة كبرى لهذا التجاوب والتفاعل بين البنوة والأمومة، هي تلك الاستجابة للكون كله بالنزوع الفطري إلى الإيمان بالخالق وعنايته الإلهية ورحمته وبره. فإن الإيمان ماهو إلا شعور بالبنوة لراعي الكون. هو مزيج من الشعور بالحاجة الماسة لرعايته والشعور بالإيمان والتفاؤل واعتقاد الخير وتفتح الذات والحرية في كنف رحمته الغامرة للكون وشعور الطاعة والانصياع لقوانينه وسننه في النفس والطبيعة والشعور بالوفاء له والحماية لحرماته وبذل النفس والجهد لتحقيق البر والعمل الصالح الذي يحفظ بركات الحياة

وينمي منافعها ويقاوم عوامل الانحلال والشر والفساد فيها.

وهكذا تتجه بنا الأمومة وإشعاعاتها وانعكاساتها إلى أعظم آفاق الحياة العليا وتصلنا به وبالمجتمع الإنساني أوثق اتصال ونعم ذلك من مقام كريم.

وبعد فنحن في مجتمعاتنا العربية نعلم جيداً أن حياتنا الاجتماعية مبنية على الغرائز الفطرية المهدية المصقولة بتجارب الحكمة والدين وأن عقائدنا في الخير تستمد من سلامة هذه الفطرة وعدم انحرافها وانسياقها وراء التحليلات والتعديلات المسرفة التي يسوق إليها حب الإغراب والجري وراء الفروض الذهنية التي يقود إليها الذكاء.

وإن أشد ما يخشي علينا أن ننساق وراء الآراء المسرفة التي تدعو إلى تحرير المرأة من واجبها الأول الأصيل وهو الأمومة ورعاية البيت فنخلع عن جبينها ذلك التاج العظيم الكريم وتعطل تلك الغريزة الشريفة وتجعلها ترمي بمطامعها إلي ما يعمل الرجل ويسلك وإلى ما يرضي نوعاً معيناً من الرجال.

إنه ذلك النوع الذى يعشق جمال جسد المرأة وحده ويحاول حرمانها من النسل والأمومة حتى لا يؤثرا فى ذلك الجمال ويقلل من استمتاع ذلك النوع به.

فإذا انساقت المرأة وراء هذه الدعوة فقد انفلتت من واجبها الأصيل ومبرر وجودها وصارت إلى فراغ والفراغ الطبيعة تأباه.

الأسرة خلية المجتمع الأولى:

- تتأثر شئون المجتمع تأثراً كبيراً بشئون الأسر التي يتألف منها، فإذا أحسنت الأسر أداء رسالتها وقامت

بوظائفها على نهج سليم، وسلكت أمثل الطرق وأعمها نفعاً للوصول إلى أغراضها، استقرت أحوال المجتمع وتوطدت أركانه. وإذا اضطربت الأسر وجانبها السداد في هذه الأمور، اضطربت حياة الأمة، واختل توازنها، وساء نظامها ـ فالأسر، هي الخلايا الأولى التي يتألف منها جسم المجتمع: فبصلاحها يصلح هذا الجسم، وبفسادها يدب إليه الوهن والانحلال.

ولا غرابة أن تكون «البيوت» هي العناصر الأولى للمجتمع، فأول بيئة تعد الكائن الإنساني للحياة الاجتماعية وتنعكس فيها صور هذه الحياة هي الأسرة. والحياة الاجتماعية لا تتحقق إلا حيث تمتزج العقول، ويتفاعل الوجدان، وتختلف الوظائف، وينشأ التضامن في الجهود والاتجاه إلى هدف مشترك، وأبسط الأوضاع الإنسانية التي تتمثل فيها هذه الأمور هي حياة الأسرة. وإنتاج الأمة المادي والعقلي يتألف من مجموع ما تنتجه الأسر.

قيمة المنزل التربوية والدينية:

للمنزل آثار بليغة في مختلف عوامل التربية الأخرى مقصودها وغير مقصودها: في الوراثة والبيئة الجغرافية والتقليد واللعب والبيئة الاجتماعية العامة والمدرسة.

- فعلى المنزل يتوقف عمل الوراثة نفسها. فبمقدار دقة كلا الزوجين في حسن اختيار زوجه، وحرصه على أن يكون من سلالة طاهرة ومنبت صالح وعلى أن يكون خاليا من العيوب الوراثية الجسمية والعقلية والخلقية، بمقدار هذه الدقة وهذا الحرص يتحقق في النسل الآثار التربوية الصالحة للوراثة، ويعصم من آثارها السيئة. فواجب الآباء نحو أولادهم، وآثار الأسرة التربوية في حياتهم، كل ذلك يمتد إلى مرحلة سابقة لزواج آبائهم بأمهاتهم، فيبدأ منذ أن يفكر أحد الأبوين في اختيار شريكه في الحياة.

- وعن طريق المنزل تحقق البيئة الاجتماعية آثارها التربوية في الأطفال. فبفضله تنتقل إليهم تقاليد أمتهم ونظمها وعرفها الخلقي وعقائدها وآدابها وفضائلها وتاريخها وكثيراً مما أحرزته من تراث في مختلف الشئون. فإن وفق المنزل في أداء هذه الرسالة الجليلة، وكان موصلا جيداً لجميع هذه الأمور، حققت البيئة الاجتماعية آثارها البليغة في التربية، وإلا أفسد عليها المنزل عملها، فلم يفد منها الطفل إلا آثاراً تافهة أو لم يصبه منها إلا الشرور والأضرار.

- وعلى مقدار المعونة التي يقدمها المنزل للمدرسة، وتضافره معها في تحقيق أغراضها، وعمله على تكملة نقصها، وما يبذله من جهد في تدارك ما يتخلف عن أعمالها من ثغرات في شخصية الطفل وفي تربيته، على هذه الأمور يتوقف سير المدرسة ومبلغ نجاحها في أداء رسالتها في تربية النشء.

ومن ثم وجب أن تتوثق الروابط بين المنزل والمدرسة وبين الآباء والمدرسين، وأن تنظم بينهما قواعد التعاون على أداء رسالة التربية.

- فيجب على المدرسة أن تعقد التعارف بين الآباء والمدرسين. وأن تنظم حفلات واجتماعات يلتقي فيها هؤلاء بأولئك ويتبادلون الرأي في شئون التربية والتعليم وعلاج وجوه النقص العامة والخاصة ببعض التلاميذ، ويجب أن تنشىء بجانب مجلس الأساتذة مجلسا للآباء يختار أولياء الأمور أنفسهم أعضاء لمجلس إدارته من بينهم، وتسترشد المدرسة في شئونها بما يقدمه إليها هذا المجلس من مقترحات وتوصيات وآراء..

- ويجب على المدرسة كذلك أن ترشد الآباء إلى مايجب عليهم القيام به حيال تربية أولادهم والإشراف على

أعمالهم المدرسية في الفترات الطويلة التي يقضونها في المنزل، وتهديهم إلى أمثل الوسائل لشغل أوقات فراغهم وإجازتهم وعطلاتهم الصيفية، وترسل إليهم من حين لآخر تقارير مفصلة عن أخلاقهم وسلوكهم ومواظبتهم وقيامهم بواجباتهم ومبلغ نجاحهم في مواد دراستهم وما يبدو فيه من مظاهر النقص والانحراف وما تقترحه من وسائل العلاج.

ويجب على الآباء من جهتهم الامتثال لجميع هذه الإرشادات وتحقيق هذه التوصيات، وتذليل السبل أمام أولادهم لأداء واجباتهم المدرسية على خير وجه، والعناية بصحتهم وتقوية أجسامهم ووقايتهم من الأمراض، وتجنب كل ما من شأنه أن يعوق الأولاد عن المواظبة أو أداء الواجب المدرسي وكل ما يشتم منه احتقار للمدرسة أو الحط من كرامة القائمين على شئونها.

كما يجب عليهم ألا يدخروا وسعا في تدارك ما يتخلف عن أعمال المدرسة من ثغرات في صحة أولادهم وفي تربيتهم، وأن يكلموا بجهودهم الخاصة مالا تقوى المدرسة على عمله أو تقصر في أدائه في مختلف الشئون المتعلقة بتربية أولادهم وإعدادهم إعداداً صالحاً للحياة.

وعلى المنزل يقع قسط كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة.

وبفضل الحياة في الأسرة تتكون لدى الفرد الروح العائلية والعواطف الأسرية المختلفة وتنشأ الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة. فالأسرة هي التي تجعل من الطفل حيوانا مدنيا وتزوده بالعواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع وفي البيت.

الأسرة في الإسلام

لا يُرى الصرح المشيد إلا إذا رجع الناظر إلى الوراء قليلا لكي يعرف زينته وبهجته وضخامة بنائه وعظمة تشييده، ولا يمكن أن يعرف مقداره بالنسبة لغيره ممن يكون في داخله قد ألف مباهجه وطنافسه، وظن أن كل الأبنية فيها ما فيه من بهجة تسر الناظرين وتمتع الوافدين، وإذا كان هذا هو الشأن في المحسوسات فهو كذلك في المعنويات والاجتماعيات، والنظم لا تعرف على حقيقتها إلا بمعرفة ما كان قبلها، وما أنت به من بدء لم تسبق به، ومعرفة غيرها مما يقارنها في الزمن، وينافسها في الوجود: فالموازنة بمقاييس عادلة تبين حقائق الأشياء في الاجتماعات. عنى الإسلام بالأسرة التي هي وحدة المجتمع.

ولا شك أن سلامة بناء الأسرة لا تقوم إلا بهذين الأمرين، وبمقدار السلامة تكون الأسرة قائمة على دعائم مستقرة أو ليست قائمة على أسس ثابتة.

دعائم الأسرة الأربع:

جاء الإسلام بأحكام جديدة للأسرة لم تكن معروفة من قبله، وفيها أعطى كل ذى حق حقه، وأقامها على دعائم ثابتة قوية، وقدس الحياة الزوجية والعلاقة بين الأبناء والآباء وبين الأخوة بعضهم مع بعض بل بين ذوي الرحم القريبة والبعيدة، ووسع معنى الأسرة.

وأن الدعائم التي اعتبرها ليقوم بنيان الأسرة على أسس قوية وليكون صالحا للبقاء ولا تؤثر فيه زعازع الرياح والأهواء أربع دعائم هي: المودة والعدالة والتعاون والفضيلة.

١- فالمودة هي الرابطة المقدسة التي تربط بين الزوجين كما قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ

أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ وكما قال في شأن العلاقة بين الأزواج ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾ فالمرأة من الرجل بمنزلة الشعار والدثار، قد ربط الله على قلبيهما برباط المودة الواصلة التي تجعل كل واحد من الزوجين جزءا من الآخر يتممه ولا ينفصل عنه.

ولم تكن تلك المودة هي الرابطة فقط بين الزوجين، بل إنها تربط بين الأقارب معا، والأسرة في الإسلام تشمل بعمومها معنى خاصاً، ومعنى عاما، ففي معناها الخاص تتكون من الزوجين وتشمل الأولاد، وفي معناها العام تشمل الزوجين وكل القرابة سواء أكانت قريبة أم كانت بعيدة، والصلة فيها واجبة بمقدار ما تتسع له الطاقة ولذا قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ ويقول سبحانه ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من أراد منكم أن ينسأ له في أثره ويبارك له في رزقه فليصل رحمه» ويأمر عليه السلام بدوام الصلة بين الأقارب ولو كان من بعضهم جفوة ولهذا يقول عليه السلام «ليس الواصل بالمكافيء إنما الواصل من يصل رحمه عند القطيعة».

٢ـ والعدالة هي الحصن الذي يحمي الأسرة من التفكك إن كان ما يهدد المودة، وقد جمع الله تعالى العدالة في عبارة سامية، وهي قوله تعالى في العلاقة بين الزوجين ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ﴾، فهذه هي العدالة المنطقية وهي التي تتساوى فيها الحقوق والواجبات، فيكون للشخص من الحقوق بمقدار ما عليه من الواجبات وإن ذلك هو قانون الأخلاق المستقيم، فالتساوي بين الحقوق والواجبات هو القسطاس المستقيم فما من حق إلا وفي مقابله

واجب، ولقد كانت العادات والنظم التي كانت سائدة قبل الإسلام تفرض على المرأة واجبات ولا تفرض لها حقوقا، فكانت كالرقيق عليه كل الواجبات بالنسبة لسيده، وليس له أي حق قبله، فكانت تلك القضية العادلة ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ فتحا جديداً بالنسبة للمرأة وهي العدالة الكاملة التي تضع كلا من الزوجين في موضعه، وإن الدرجة التي أعطاها الله تعالى للرجل هي درجة الإشراف، وهي أيضا حق مقابله واجب فإذا كان له بمقتضى تلك الدرجة حق الطاعة فعليه واجب العدل. فالاسلام الذي كانت أول شريعة أنصفت المرأة ونادى بهذا الإنصاف في وسط ظلمات العادات الجاهلية احتاط ليمنع ذلك التفكك، فأعطى الرجل هذه الدرجة لتكون الميزان الضابط وكلفه العدل في نظير ما أعطاه، فإن اشتط وبغى فسوط العقاب ينزل به إن رفع الأمر إلى القضاء.

٣ـ والتعاون بين الأسرة واجب دعا إليه الإسلام، ونظمه ونسقه فجعل كل واحد من آحاد الأسرة بمعناها العام في عون أخيه، وجعل حق الفقير في الأسرة على الغني فيها، فمن عجز عن الإنفاق على نفسه كانت نفقته في مال قريبه الغني، وقد قال تعالى في ذلك ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾.

٤ـ والفضيلة هي النظام الذي يسود كل العلاقات الإنسانية سواء كانت في الأسرة أو كانت في المجتمع فالفضيلة هي قاعدة الإسلام في كل ما ينظمه من أحكام، وما يربطه من علاقات فإذا كانت المودة والتعاون يصلان

كل آحاد الأسرة، ففي دائرة الخير والفضيلة لا في دائرة الإثم والعدوان، فقد قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ ولقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنصر أخاك ظالما أو مظلوما» فقال بعض الصحابة، هذا المظلوم ننصره، فكيف ننصر الظالم؟ فقال الرسول عليه السلام «أن تمنعه من الظلم». وإن الأسرة تعد مسئولة عن إثم الآثمين فيها، ولذا أوجب الدية على الأسرة إن ارتكب واحد منها جناية ووجبت فيها الدية، وذلك لتعاون الأسرة في دائرة الفضيلة ومنع الأذى في آحادها.

أسس العلاقة الإنسانية في الزواج:

- إن العلاقات الإنسانية في الأسرة الإسلامية تقوم على عناصر ثلاثة: أولها احترام الشخصية في الأسرة، ثانيها المساواة في المعاملة، ثالثها: المحبة الواصلة والود الدائم المستمر.

- الاحترام المتبادل:

إن الفرد في الأسرة يدمج فيها، فالأبناء يدمجون في الآباء والإخوة يتحدون ويتعاونون والزوجان يندمج كل واحد منهما في صاحبه، ويندمج فيهما أولادهما، ولكن مع هذا الاندماج لا تفنى شخصية كل واحد من آحاد الأسرة في سائرها، بل كل له كيانه وشخصيته الذاتية وتتلاقى هذه الشخصيات ويتكون منها بناء الأسرة، من غير إفناء للذاتية الشخصية.

- لها الولاية على نفسها ومالها:

ولذلك كان للزوجة مع اندماجها في زوجها شخصيتها الكاملة، فلها الولاية التامة على مالها وليس للزوج أن يتصرف في مالها إلا بإذن منها، فإن لم يستأذنها كان تصرفه في حكم التصرف في مال أجنبي لا ينفذ إلا

بإجازتها، وقال جمهور الفقهاء يبطل تصرفه، وذلك حق لم تعترف به الشرائع الوضعية للمرأة كاملا على الوجه الذي بيَّنته، فإن الإسلام جعل للمرأة الحرية المطلقة في التصرف في مالها لا يقيدها إلا بما يقيد البالغ العاقل الرشيد في التصرف في ماله، ولم يشذ عن هذا إلا رأي لمالك روي عنه، وهو أن المرأة لها أن تتصرف في كل شيء بالتبرع أو غيره إلا أنها إذا كانت زوجة فإنها لا تتبرع بأكثر من ثلث مالها.

وإن شخصية الأولاد أمام أبيهم محترمة، فالولاية الأبوية تنتهي عند البلوغ عاقلا رشيدا فإذا بلغ ذلك المبلغ كانت له الولاية التامة على ماله ونفسه، وليس لأبيه أو غيره أن يتدخل فى شئونه المالية أو غيرها إلا أن يحجر عليه، فيكون للقاضي أن يقيد تصرفاته ويقيم عليه قيما.

فالولاية الشخصية في الشريعة الإسلامية حق طبيعي يثبت بمجرد تحقق سببه وهو البلوغ والعقل والرشد، وليس منحة يمنحها الشخص من الأب.

حق المساواة في الحقوق والواجبات:

تقوم العلاقات في الأسرة على المساواة في الحقوق والواجبات، وإن العلاقة بين الأخ وأخيه تقوم على المساواة، ليس لأحدهما أن يتحكم في الآخر، أو أن يسلب الكبير حق الصغير وإن كان الإسلام قد حث على احترام الكبير والرفق بالصغير.

والأولاد متساوون أمام أبيهم، ولقد قال في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم «سووا بين أولادكم فى العطية ولو اخترت لفضلت النساء على الرجال» وقد قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل كان قد وهب لبعض أولاده ولم يهب للباقي فنهاه النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك بهذا الحديث.

وقد قرر الفقهاء بالإجماع أنه يكره للرجل أو المرأة، أن يعطي أحدهما بعض أولاده دون البعض، وقد قرر الإمام أحمد أن من يهب لبعض أولاده هبة ويترك الآخرين تكون هبته باطلة لما فيها من مخالفة ذلك الحديث النبوي الشريف.

وإن النهي عن المحاباة في الهبة له مغزاه لأن إيثار بعض الأولاد بعطاء دون الباقين يلقي في قلوب المحرومين البغض والعداوة، فتتقطع أوصال الأسرة وتحل البغضاء محل المودة وذلك مانراه في أسر الذين ينحرفون ذلك الانحراف.

عقد الزواج بناء اجتماعي:

الركن الأول لتكوين الأسرة الرجل والمرأة، فمنهما تتكون الأسرة، وهما جزءان فى ركن واحد، وعنصران فى جوهر واحد، منهما تتشعب كل الأسرة، ومن عواطفهما السامية ينبعث النور المشرق الذي يهدي الذرية إلى مدارة الإنسانية العالية التي ينفصل بها الإنسان عن طينة الحيوان، ولذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

وإذا كان كلا الجزأين لهذا الركن الموحد الذي امتزج فيه عنصرا الإنسانية اللذان يتكون منهما أقدس المعانى الإنسانية هما الأساس لتكوين الأسرة، فإن الإسلام عني بتنظيم ذلك الارتباط بينهما وهو بمنزلة العنصر الثالث الذي يمزج بين هذين العنصرين أو يثير فيهما عوامل الامتزاج، وذلك الارتباط هو عقد الزواج الذي أحل الله فيه الرجل للمرأة وكون منهما روحا إنسانية واحدة متحدة الاتجاه والغاية.

وإن الإسلام لم يعترف برابطة إنسانية بين الرجل والمرأة

غير الزواج، فألغى كل ما كان في الجاهلية من روابط تنشىء أسرة أو تنشىء نسلا ثابت النسب، فألغى اتخاذ الأخدان وألغى وراثة الرجال للنساء، وقد قال في ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾. واعتبر العلاقة بهذا الوضع باطلة توجب العقاب الشديد بل أقصى أنواع العقاب، وسمى تلك العلاقة مقتا بل اعتبرها زنى يقتضي العقاب الشديد وألغى اتخاذ الأخدان واعتبره من أنواع السفاح فهو زنى يوجب أغلظ العقوبة وهو فاحشة. وألغى الإسلام المتعة وهي نوع من اتخاذ الأخدان أو لها به شبه، وهما على أية حال في معنى واحد أو مقصد واحد.

الزواج هو المكون للأسرة:

إن الاسلام كان حريصا كل الحرص على أن يكون الزواج وحده هو الرابطة المكونة للأسرة لأنه يريد أن تكون العلاقات كلها في داخل الأسرة قائمة على المودة والصداقة ولا تقوم على المودة الصادقة إلا إذا ذهب الدخيل من بينهم، ومن ذا الذي يستطيع أن يقرر أن الزاني أو ما يشبه الزنى يكون ثبوت النسب فيه خاليا من مظنة الكذب والبطلان؟ وفوق ذلك فإن من يثبت نسبة ولد منه لا تقتصر علاقة النسب عليها، بل إنه يوجد علاقة بينه وبين أولاد ذلك الرجل الذى ألحق به نسبه، إذ سيكونون إخوته وأخواته وستوجد علاقة بينه وبين آباء الرجل إذ سيكون من حفدتهم، وعلاقة بينه وبين أخوة الرجل إذ سيكونون عمومته. وهكذا .. وإن الإسلام كما ذكرنا قد حرص على تقوية هذه الوشائج كلها واعتبر البر بها وصلتها واجبة، واعتبرها عناصر الأسرة بمعناها الأعم الشامل وأوجب بها واجبات ورتب لها حقوقا، فكان من الواجب ألا تكون أسباب هذه العلاقات فيها شائبة بل تكون ظاهرة خالصة

يطمأن إليها، وكيف تطالب أن يعطى شخص حق الأخوة، وهو يعلم أن ثمرة علاقة آثمة وأنه لا يطمئن إلى أنه من بذر أبيه، بل كيف يعطيه الجد حنان الأبوة وهو يعلم أنه ثمرة الخنا؟ وكان من طريق مشكوك فيه ... فالإسلام لأنه وثق الحقوق والواجبات في الأسرة ووسع معنى الأسرة ولم يضيقها نص على الطريق الموصل إلى القرابة وقصره على تلك العقدة التي وثقها الله تعالى بكلمته وهي الزواج.

فضائل الزواج:

• **الزواج عبادة** : أبعد الإسلام كل أسباب للنسل أو تكوين الأسرة من غير الزواج.

ولهذا المعنى السامي في الزواج حث الإسلام عليه ودعا إليه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «أيها الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

وهذا الحديث مجمع عليه فى كتب السنة، ولا مطعن في سنده، والمراد بالباءة في الحديث تكاليف الزواج، ومعنى كلمة وجاء أن الصوم قاطع لاندفاع الإنسان نحو الشهوات المردية، ولقد اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم متعلقا بنصف الدين فمن تزوج فقد حصن نصف دينه، وهو النصف الاجتماعي الذى يجعله أليفا بالناس لا يتعدى عليهم ويسهم في بناء المجتمع بتلك الأسرة التي أقام دعائمها بهذا الزواج.

• **الزواج رابطة اجتماعية** والنبي (صلى الله عليه وسلم) اعتبره أقدس رابطة في الحياة، وأجل عقد في هذا الوجود، واعتبر الزوجة زهرة هذا الوجود ولذا قال (صلى الله عليه وسلم) «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» وقال عليه السلام «ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء، المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا

غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته».

ويلغ النبي عليه السلام أن نفرا من الصحابة تواصوا فيما بينهم على الانصراف إلى العبادة فقال بعضهم لا أتزوج وقال بعضهم أصلي ولا أنام، وقال بعضهم أصوم ولا أفطر، فبلغ النبي عليه السلام ما تواصوا به، فقال «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

ولقد سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلاً اسمه عكاف بن وداعة الهلالي فقال له ألك أمرأة قال: لا، ألك أمة قال: لا، فقال النبي الطاهر، فأنت إذن من إخوان الشياطين، شراركم عزابكم، وأرذل موتاكم عزابكم، ويحك ياعكاف! تزوج.

- **الزواج كمال في الهيئة الاجتماعية**: لماذا حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على الزواج وكرر الدعوة إليه، حتى لقد أفتى فقهاء الظاهرية بأن الزواج فرض ديني، ولو كان الشخص يستطيع أن يكف نفسه عن الزنى، وأجمع فقهاء المسلمين ما بين إباضية وسنة وشيعة وغيرهم على أن الزواج فرض على من يعتقد الوقوع في الزنى إن لم يتزوج.

والجواب عن ذلك هو أن الإسلام حريص كل الحرص على ثلاثة أمور لا تكمل إلا بالزواج، أولها: ألا توجد الفاحشة أو تنتشر. وثانيها: أن الأسرة هي الدعامة في بناء المجتمع، والزواج هو روابط هذه الدعامة، فهو العقد الوثيق المقدس الذي تقوم عليه الأسرة. وما عداه من العلاقات لا يمكن أن يتكون منها بناء للأسرة. إذ هذه علاقات أشبه بمسافدة الحيوان بأى أنثى يلقاها في عابر الطريق أو في الغابة ولا يمكن أن تتكون منها أسرة سليمة البنيان.

وثالثها هو حرص الإسلام على إيجاد أجيال إنسانية قوية، ولذلك حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على طلب النسل بالزواج، فقد قال له بعض الصحابة أصبت امرأة ذات جمال ومنصب ومال. ولكنها لا تلد أفأتزوجها فأعرض عنه النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم ذكر الرجل هذا مرة أخرى، والنبي يعرض ثلاث مرات ثم قال له عليه السلام «تزوجوا الولود فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة».

وبلا شك أن القيام على شئون الأولاد ورعايتهم والعناية بهم هو الذى يقدم نسلا قويا، ولا يكون ذلك إلا بالزواج.

- **الزواج حفظ للنسل:** أجمع فقهاء المسلمين على أن حفظ النسل مقصد من مقاصد الإسلام العليا، فقد أجمعوا على أن الإسلام فى أحكامه وتكاليفه يتجه إلى المحافظة على الدين والنفس والعقل والنسل والمال فالنسل أحد الضروريات الخمس التي جاء الإسلام للمحافظة عليها، ومن أجل المحافظة عليه، كان تنظيم الزواج، إذ هو المقصد الأول من تنظيمه، وما من حكم من أحكام الزواج في الإسلام إلا كان مقصده حماية النسل في جانب من جوانبه، فالمحرمات من النساء في الإسلام كان تحريمهن لتقوية النسل، فإن التزاوج بين الإقارب يأتي بنسل ضعيف، ولقد أثبتت التجارب العلمية التي أجريت في الحيوان أن التلاقح بين سلائل مختلفة الأرومة ينتج نتاجا قويا، والتلاقح بين حيوانات متحدة السلالة ينتج نتاجا ضعيفا.

وقد لاحظ ذلك الأقدمون، فيرون أن سيدنا عمر بن الخطاب قد لاحظ أن آل السائب وهم قبيلة من العرب لا يتزاوجون إلا فيما بينهم. فقال لهم رضي الله عنه «يا آل السائب قد أضويتم فانكحوا النوابغ».

وقد حث الإسلام على تخير الأزواج الذين لا عيب فيهم.

فقد ورد في بعض الآثار أن الرسول عليه السلام قال «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

ومن أجل الحرص على أخلاق النسل والتلاؤم في العشرة الزوجية حث الإسلام على اختيار الزوج من ذوات الدين، ومن غير نظر إلى المال والجمال، ولقد قال عليه السلام «تنكح المرأة لجمالها ولمالها ولدينها فعليك بذات الدين» وذلك لأن ذات الدين تحفظ عرض زوجها، فتحفظ النسل من الفوضى والاختلاط وتربي في النشء نزوع التدين والائتلاف والتلاؤم بين رغباته ومطالب الجماعة العليا فيكون عنصراً نافعا قويا.

الزواج عقد مقدس واستقرار اجتماعي ومن أجل العناية بالنسل شرع عقد الزواج مؤبداً، ولم يعقد مؤقتا، لأن المقاصد التي تقصد منه لا تكون إلا مع التأبيد، وأعظم هذه المقاصد هو رعاية الأولاد، فإن تلك الرعاية لا تكون على وجهها إلا إذا دامت العلاقة التي كانت سببا في وجود تلك الثمرة، إذ أن كل ثمرة لا تنمو إلا على غرسها، وكل زرع لا ينمو إلا في البيئة التى نبت فيها، وإن العواطف السامية التي ينشأ عليها الأولاد لا تنمو إلا في ظل تلك العاطفة الكريمة التي تربط بين الرجل وأهله، فقد اجتمع قلباهما على حب تلك الثمرة التي يريان فيها صورة حية من تلاقيهما الإنساني والوجدانى ويريان بها قطعا من أنفسهما ممتزجة حية تقطع سبيلها في الحياة، ويكون وجودها امتدادا لوجودهما معاً، وهي تشير إلى ما كان بينهما من علاقة مقدسة.

ولذلك أجمع الفقهاء على أن أي تأقيت يفسد عقد الزواج. ولا يكون زواجا صحيحا أصلا بل يكون عقدا فاسداً.

من آداب الزواج

حث الإسلام المستطيعين على الزواج وزينه في قلوبهم وكره إليهم الرهبانية والتبذل وبين أن من أعرض عن الزواج فليس من المسلمين في شيء لأن الإعراض يثير الفاحشة في المجتمع والإسلام يريد لأهله النقاء من ألوان الفساد والنماء في الأعداد ليكون تكاثرهم مظهراً لعزتهم وسبيلا لإعلاء كلمتهم.

- بواعث الزواج:

ويرى الرسول أن ما يبعث على الزواج إنما هو الحب والمال والدين والجمال وينصح باختيار ذات الدين لأن الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة، والمال قد يطغى والحسن قد يردي والحب قد يؤذي، وأمر المسلم أن لا يبتغي بزواجه العزة والرفعة والغنى، فإن ابتغاءها لا يعقب إلا أضدادها وأن يتخير لذريته منبتا طيبا فإن العروق تنزع إلى أصولها. وأباح له أن يصوب بصره ويصعده فيمن يخطبها وأن يلقاها ويتحدث إليها على النحو المباح في التقاء الرجل بالمرأة إذا كان معهما أحد محارمها، وليس ذلك بمخالف للأمر بالحجاب المنصوص عليه في القرآن .. فإن ذلك الحجاب مخصوص بنساء النبي كما هو واضح من سياق الآيات وسبب نزولها ونصوص التاريخ فيها.

- إباحة النظر:

اختلف الفقهاء في المواضع التي يباح للخاطب أن ينظر إليها من مخطوبته هل هي مقصورة على الوجه والكفين أو هي مطلق البدن. والمعول عليه في المذهب كما هو عند أكثر العلماء هو القول الأول لأن النظر إلى الوجه والكفين يتحقق به المقصود من مشروعية النظر إلى المخطوبة فالوجه يستدل به على الجمال أو الدمامة، والكفان يستدل بهما على خصوبة البدن أو عدمها وهي

مواضع أبيح للمرأة كشفها على أنَّ كلاً من الخطبين أجنبي من الآخر

الإذن والمشورة

وأباح للمرأة أن تتأكد خلو من يخطبها من المنفرات كقذارة الفم ونتانة العرق كما أباحه للرجل، وقد أرسل الرسول أم سليم إلى امرأة وقال لها انظري إلى عرقوبها وشمي معاطفها.

فإذا طابت نفس المخطوبة بخاطبها وترسمت فيه الخير وجب على ولي المرأة أن يبادر بتزويجها منه متى أنس بدينه وكفاءته وإلا كان من العاضلين المفسدين لقول الرسول ـ إذا أتاكم من ترضون دينه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

وإذا رغبت عنه فليس لوليها أن يرغمها بكرا كانت أو ثيبا وإذا فعل فمن حقها أن تحل عقدة النكاح وأنفه راغم في التراب وقد جاءت فتاة إلي رسول الله وقالت له إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بى خسيسته فجعل الرسول أمرها إليها فقالت يا رسول الله قد أجزت ما صنع إلي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء وروي عن خنساء بنت خدام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله فرد نكاحها.

ولكن ليس معنى ذلك أن من حق المرأة أن تتزوج بمن تشاء دون أن يأذن لها من بيده أمرها لأنها جياشة العاطفة يسهل خداعها والمكر بها وهذا الشرط يعصمها من شراك الخداعين وأحابيل الماكرين ويجنبها وأسرتها كثيراً من المتاعب والآلام.

وأوجب على من يستشار في أمر خاطب أو مخطوبة أن يذكر كل ما يعلمه من المحاسن والمساوىء وإلا كان من الخائنين الفاشلين بل إنه أمر الخاطب أن يظهر من أمره كل شيء حتى تكون مخطوبته على بينة من كل

ما يتعلق به ولو كان يسيرا، قال رسول الله «إذا خطب أحدكم امرأة وقد خضب بالسواد فليعلمها لا يغرها».

الصداق والابتهاج بالفرح والسرور:

ولم يجعل الإسلام للصداق حدوداً لا يجاوزها قلة أو كثرة وإنما دعا إلى يسره وخفته وجعله ملكا خالصا للمرأة ولم يفرض عليها أن تنفق منه شيئا في شراء السوار، فإن طابت عن شيء منه نفسا فهي وما تهوى لا معقب لإرادتها.

ويتم الزواج بالعقد وأمره يسير في الإسلام فما هو إلا أن يشهد شاهدان على اتفاق الطرفين على إرادة الزواج حتى يصبح نافذ المفعول دون تدخل من أحد باسم الدين فليس في الإسلام ابتهاجا بميلاد الأسرة الجديدة، وقد سن الرسول للزوج أن يولم بوليمة تبلغها قدرته يدعو إليها من يود من أهله وجيرانه وأصدقائه الفقراء منهم والأغنياء، وأمر كل من يدعى إليها أن يجيب الدعوة ومن شواهد الوليمة التي لها دلالتها هذا الشاهد الطريف الذي رواه البخاري عن سهل بن سعد صلى الله عليه وسلم قال «لما أعرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي وأصحابه فيما صنع لهم طعاما ولا قرّبه إليهم إلا امرأته أم أسيد بلت تمرات في نور من حجارة من الليل فلما فرغ النبى من الطعام أتته تتحفه بذلك» وفي رواية أخرى «فكانت التي تقربه إلى النبي ومن معه».

ووردت الاباحة عن الرسول صلي الله عليه وسلم بضرب الدف وهو نوع من الطبول في أحوال محدودة وبكيفية مخصوصة، فيستعمل في الأعراس لإشهار النكاح وإشاعته وفي غيره المناسبات السارة كالأعياد لإظهار الفرح بعيد المسلمين ولاجتماع الناس في أمرمهم وأن يكون ضربه خالياً من التلحين والتنقيش وأن لا يقصد بضربه الطرب والهيام والمجون

وما عدا ذلك من أنواع الموسيقى والطبول والمزامير بمختلف أسمائها وأشكالها محرمة شرعا وكذلك الغناء فإنما أبيح

منه قدر يسير في أحوال وبكيفيات مخصوصة فمن حيث ألفاظه يشترط أن تكون صادقة ونزيهة خالية من الفحش والمجون والخلاعة ومما يثير الغرائز وما أشبه ذلك ومن حيث الشخص المغنِّي والمستمع إليه يشترط أن يكون من رجال لرجال مثلهم أو من لنساء مثلهن أو من أطفال صبيان أو جوار لأي من الجنسين وأن لا يكون هناك اختلاط بين الرجال والنساء الأجانب وما عدا هذا القدر المخصوص من الغناء فإنه محرم قال عليه الصلاة والسلام: «من استمع إلى قينة صب في أذنيه الآنك يوم القيامة» وقال أيضاً: «صوتان ملعونان في الدنيا والاخرة مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة» إلى غير ذلك.

معنى قوامة الرجل:

وقوامة الرجل على المرأة في الإسلام قوامة عادلة عاقلة متبصرة تستهدف المراشد وتستدفع المفاسد وتقوم المعوج بالحسنى وتنأى بجانبها عن العسف والاستبداد وكبت حرية الأفراد لأنها قوامة راع يعتقد أنه مسئول عن رعيته وهذه القوامة تقتضي من الزوج أن يعنى بتثقيف زوجه وتنمية معارفها وتعليمها مالم تكن تعلم، وقد أمر رسول الله الشفاء بنت عبد الله القرشية فقال لها: «علمي حفصة رقية النملة» كما علمتها الكتاب فعلمتها حتى روت عنها حفصة الحديث لأن الرسول كان يكرم الشفاء بزيارته ويقيل عندها ويلبس أزاراً وينام على فراش كانت قد اتخذته له خاصة.

وقد أجمل القرآن واجبات الرجل فى عبارة واحدة بلغت الغاية في الإيجاز والإعجاز وهي قوله ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ كما أجمل حقوق النساء وواجباتهن في قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وكلمة المعروف يندرج تحتها من رفيع المعاني وكريم الخلال وسني الآداب ما تعرفه كل نفس ويطمئن إليه كل قلب.

وقد بين الرسول في حجة الوداع حقوق الرجال والنساء حيث

يقول: «إن لنسائكم عليكم حقا ولكن عليهن حق لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله. واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً».

- حق الرعاية مكفول لها:

وقد بين الرسول أن مسئولية الرجل عن كيان الأسرة كمسؤولية المرأة حيث يقول كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع على أهله وهو مسئول والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهي مسئولة..

فواجب عليهما معا رعاية الأولاد وغرس العادات الطيبة في نفوسهم والعناية بتعليمهم وتثقيفهم وتبصيرهم بأمور دينهم وأخذهم بآدابه منذ إدراكهم لأنهم وديعة الله لديهم وأمانته فى أعناقهم وهم خلفاؤهم في مجتمعهم فينبغي أن يسلموهم إلى الحياة على الخير ما يكون عليه الفتيان والفتيات في شئون الدين والدنيا جميعا.

روي عن معاذ أن النبي قال: «أنفق على عيالك من طولك ولا ترفع عنهم عصاك أدبا وأخفهم في الله» وقال: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

التـــوادد:

وليعلم الرجل أنه مسئول عن إشاعة البهجة في بيته وإتاحة اللهو البريء لزوجه وأولاه، قالت: كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله وأنا أنظر فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف فأقدروا قدر الجارية الحديثة

السن تسمع اللهو، وكانت يومئذ بنت خمس عشرة سنة أو يزيد.

ويجب على الرجل أن يكون بساماً ضحوكاً في بيته وبين أهله وولده لين العريكة منبسط الخلق طيب النفس مستضيئا بهدي نبيه في قوله: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

آداب الاستمتاع:

وللناس مذاهب شتى في الاستمتاع ومقدماته ولهم أقوال وأفعال تدفعهم إليها النشوة العارمة في سكرة العقل والفكر ويجب أن يظل سرها مكتوماً بين الزوجين وفاء بذمام الحياء وحفظاً على صرح الأسرة أن تهزه رغبات الطامعين من السامعات والسامعين. وقد نفر الرسول من التحدث بما يجري فى تلك الحال واعتبر ناشر هذا السر من شرار الناس عند الله منزلة يوم القيامة.

روي أبو هريرة أن رسول الله صلى فلما سلم أقبل عليهم بوجهه فقال: هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ثم خرج فيحدث فيقول: فعلت بأهلي كذا وفعلت بأهلي كذا فسكتوا.

فأقبل على النساء فقال هل منكن من تحدث؟ فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ويسمع كلامها فقالت إي والله إنهم يتحدثون وإنهن ليتحدثن. فقال هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟؟

«إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه» ولقد نبه الرسول الزوج إلى أن يأخذ زينته لزوجه ولا يدع نظافته لئلا يتعلق قلبها بذوي الزينة من الرجال وفي ذلك يقول: «اغسلوا ثيابكم وخذوا من

شعوركم واستأكلوا وتزينوا وتنظفوا فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم».

دور المرأة الاجتماعي:

جاء الإسلام فرفع من شأن المرأة أكثر من ذي قبل ولم يعترض على ما أخذته على نفسها في الشئون العامة وبخاصة في الناحية الاجتماعية لقد اعترض الاسلام على بعض ما أخذته المرأة في الجانب السياسي آنذاك كما كان عند الفرس توليتها حاكماً فقال الاسلام: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم أمرأة» وساوى بين الرجل والمرأة في الواجبات والتكاليف وأوجب التعلم على كل مسلم ومسلمة، وكان من نتيجة ذلك أن اشتهر بعض النساء وضربن بسهم وافر في العلوم والمعرفة وقتذاك، نذكر منهن عائشة أم المؤمنين التي اشتهرت بأكثر مما اشتهر به الرجال في الرواية والفقه، وفاطمة الزهراء والخنساء وزبيدة زوج هارون الرشيد، ومما لا شك فيه أن المرأة العربية في صدر الإسلام والعصر العباسي الأول فاقت المرأة الغربية التي لم يكن لها حق التملك عن أي طريق ولم يكن لها ميراث أصلا، كما لم يكن لها حظ كبير من التعليم والتهذيب، والعرب هم الذين أثروا في المجتمع الأوربي فنقل فرسان أوروبا ـ في عصر النهضة ـ عن العرب مبدأ احترام المرأة مهما كانت منزلتها الاجتماعية وصاروا يعاملونها معاملة لطيفة دمثة.

- لا ينكر أحد أن للمرأة وظيفة هامة وأثراً خطيراً في حياة الشعوب والأفراد ولعل أهم دور تلعبه المرأة هو تكوين الأسرة، فالمرأة المثقفة إذا أحسنت واجبها في هذه الناحية فإنها ولا شك تستطيع أن تساهم أكبر مساهمة في تكوين جيل ناهض وتنشئته نشأة طيبة صالحة وإعداده إعدادا قويا سليما.

- والمرأة تستطيع أن تتحمل المسئولية كاملة في إدارة شئون البيت وما يتبعه من التزامات فهي التي تضع

ميزانية البيت بقدر من التدبير وحسن التصرف، وتستطيع أن تجعل من بيتها ركنا هادئا وعشا جميلا محبوبا لزوجها وهي التي تربي أولادها جسما وعقلا وأدبا ونفسا، وهي في ذلك كله تتخذ أنجع الوسائل للنهوض بسعادة من في البيت جميعا، فالبيت السعيد الصالح هو الخلية السعيدة في كيان المجتمع السليم.

- ولا تستطيع المرأة أن تؤدي رسالتها الطبيعية إلا إذا كانت تؤمن بأن البيت هو المقر الطبيعي لها وأنها لا يمكن أن تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل إلا إذا استقرت، فإن ما يستلزمه البيت من تبعات هو أهم واجباتها وليس هناك ما يمنع المرأة المثقفة من أن تملأ فراغها بتذوق الأدب أو الفن أو الاهتمام بالإصلاح الاجتماعي والخلقي لأن المجال فيه متسع.

- والمرأة المسلمة تقوم بدور إيجابي في العمل على تحسين حال مجتمعها أخلاقيا واجتماعيا وتطهيره من الفوضى التي حدثت نتيجة الاندفاع الذي لازم حركة تطور المرأة وتحررها فى بعض البلاد وإن كان هذا أمرا طبيعيا إذ هو سنة التغيير والتطور، ومما يدعو إلى التفاؤل أن الهيئات النسائية في بعض البلدان هيئات مخلصة لا ترمي إلى الدعاية والظهور بل تعمل في صالح المجتمع، والمرأة في سبيل ذلك قامت وتقوم بأعمال عظيمة من أعمال الخير، ولا ينكر أحد أهمية دور المرأة وما يمكن أن تحققه في ترقية المجتمع، وقد حققت المرأة الكثير في النواحي الاجتماعية والخيرية، فهي تساهم في العمل بالمدارس والمستشفيات، وتقوم بتبصير بنات جنسها وتنويرهن ورفع مستواهن الصحي والثقافي والاجتماعي.

- والمرأة المسلمة الآن تتمشى مع الرجل - إلى حد كبير - في النهضة الحديثة فتراها قد خلعت نير الجهل عنها وأقبلت على العلم حيث غصت المدارس بالفتيات

ومنهن من تخرجن فى الجامعات وتخصص فى الطب والفلسفة والاجتماع والتربية إلى غير ذلك من الفروع الأخرى. وظهر عدد كبير من النساء اشتهرن في الوقت الحاضر في شتى الميادين العلمية والأدبية في كثير من البلاد العربية.